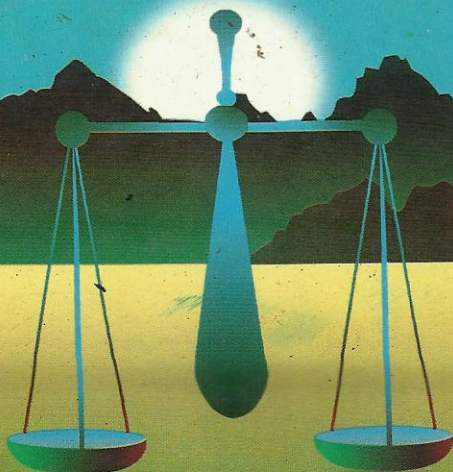


فضيلة الشيخ
محمّد صفوت نور الدين

وقفه حساب مع النفس

ضوابط ومعالج



دار الأوقاف
للطباعة والنشر والتوزيع
بمصر

اعتنى به وخرّج أحاديثه
محمد حامد محمد

وقفه حساب مع النفس

ضوابط ومعالج

فضيلة الشيخ
محمد صفوت نور الدين

إعتنى به وخرج أحاديثه
أبو مالك محمد حامد عبد الوهاب

دار الإيمان

للطبوع والنشر والتوزيع
إسكندرية ت: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٤٤٦٤٩٦

حقوق الطبع محفوظة

رقم الإيداع ١٣٤٨١ / ٢٠٠٠

الترقيم الدولي

٠ - ٠٤٥ - ٣٣١ - ٩٧٧

دار الإيمان

للطبع والنشر والتوزيع

١٧ ش خليل الخياط - مصطفى كامل

إسكندرية ت: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٤٤٦٤٩٦

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد :

فإن العبد ما دام يحيا فى هذه الدنيا ويتنفس من هوائها ويوطأ الأرض ويعمرها فلا بد له من وقفة حساب مع نفسه ، ليرى أربح أم خسر ؟ .

يقف مع نفسه ويحاسبها أشد المحاسبة ولا يترك لها العنان تصنع به ما تريد هى ، فبئس العبد إذا هو .

وما أجمل ما قاله فاروق هذه الأمة : « حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم » .

لقد استقرت تجارتك الثمينة على شروط اتفقت عليها نفسك مع عقلك ، وسارت ممارتك لهذه التجارة بمراقبة ومتابعة تبتغى الإحسان فى الطاعات وتحقق الأدب فى

المباحات وتحفظ من التورط فى المعاصى والمهلكات ،
ولكنها تجارة ، ولكل تجارة نظام محاسبة .

تَنَامُ وَقَدْ أُعِدَّ لَكَ السُّهَادُ
تَوْقِنَ بِالرَّحِيلِ وَلَيْسَ زَادُ

وَتُصْبِحُ مِثْلَ مَا تُمَسِي مُضِيعاً
كَأَنَّكَ لَسْتَ تَدْرِي مَا الْمَرَادُ

أَتَطْمَعُ أَنْ تَفُوزَ غَدًا هَنِيئاً
وَلَمْ يَكْ مِنْكَ فِى الدُّنْيَا اجْتِهَادُ

إِذَا فَرَّطْتَ فِى تَقْدِيمِ زَرْعٍ
فَكَيْفَ يَكُونُ مِنْ عَدَمِ حَصَادُ

فالعبد ينبغي له كل ليلة قبل نومه من وقفة حساب ،
يحسب ما ربحه وما خسره فى يومه الذى مرَّ ، يا ابن آدم
إنما أنت أيام ، إذا ذهب بعضك ذهب كلُّك .

روى الترمذى « ٢٣٨٣ » من حديث شداد بن أوس
عن النبى قال : « الكيس من دان نفسه » ، قال الترمذى

معلقاً على الحديث : ومعنى قوله : « من دان نفسه »
حاسب نفسه فى الدنيا قبل أن يحاسب يوم القيامة . أهـ .
وعن ميمون بن مهران قال : لا يكون العبد تقياً حتى
يحاسب نفسه كما يحاسب شريكه من أين مطعمه وملبسه .
وما كان لمثلي أن يتقدم بهذه التقدمة بين يدي هذه
الرسالة القيمة النافعة الجامعة - بإذن الله - « وقفة حساب :
ضوابط ومعالم » لفضيلة شيخنا الجليل ، العالم الزاهد
الورع ، بقية السلف ورائد الخلف ، حامل لواء التوحيد ،
نصير السنة ، قامع البدعة . فضيلة الشيخ / محمد صفوت
نور الدين - حفظه الله ومتعه بطاعته - ولكنها الأقدار ،
وإذا قضى ربك فلا رادّ لقضائه .

وعملى فى هذه الرسالة ينحصر فيما يلى :

أولاً : عزوت الآيات القرآنية إلى مواضعها فى القرآن الكريم .
ثانياً : تخريج الأحاديث الواردة فى الرسالة وعزوها إلى
كتب السنة .

ثالثاً : شرح غريب الألفاظ .

رابعاً : وضع عنوان رئيسى أو جانبى كمفتاح لما بعده من كلام .

خامساً : التعليق على بعض الجمل والفقرات وتبيين مراد الشيخ منها .

سادساً : الاستشهاد بالاية أو الحديث على بعض الجمل والفقرات .

وأخيراً ، أسأل الله تبارك وتعالى أن ينفع بها كاتبها وقارئها وناسخها وناشرها وقائلها ، وكل من اطلع عليها ، هو ولى ذلك ونعم الوكيل .

محمد حامد محمد

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

بسم الله الرحمن الرحيم

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه
ولمزه ونفثه ، بسم الله الرحمن الرحيم ، ونحمد الله عز
وجل ونصلي على أفضل خلقه وخاتم رسله وسيد أصفیائه
وإمام أنبيائه ، سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه ومن
اهتدى بهديه واستن بسنته وسار على طريقته وانتهج نهجه
إلى يوم الدين .

أما بعد :

أيها الأخوة الأحباب الكرام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

حديثنا الليلة إن شاء الله وبِعونه وحوله وطوله ومده
وقوته وتوفيقه عنوانه : [**وقفه حساب : ضوابط
ومعالم**] .

وقفه حساب ، ذلك أن العبد إذا ترك لنفسه العنان

وأرخصي لها الزمام ، فإنها تنطلق فى الأهواء كيف شاءت ، فلا يستطيع لها جمعاً ولا يمكنه لها ردعاً فتورده إلى المهالك ، وأن الرجل الذى يجد فى نفسه ميلاً إلى شهوة كطعام أو دخان أو غير ذلك من مباحات أو محرمات ، فإن جاء يردّها عن ذلك استعصت عليه ، لكن العبد إذا وقف من نفسه دائماً موقف المحاسب المؤدب فإنه يستطيع أن يردّعها إذا جمحت وأن يجمعها إذا خرجت وأن يردّها إذا تخطت حدودها ، وأنا لا أريد الليلة أن أقف أستعرض الحساب ، ولكن أريد أن أضع المعالم والضوابط التى نحاسب عليها النفس لأن الذى يجعل العبد يهمل فى حساب نفسه ، إن معالم هذا الحساب غير واضحة عنده وأن الضوابط ينبغى للعبد أن يراعيها عند حساب نفسه ، ينطلق منها الحساب .

١ - الأعمال تقيد على العبد ثم تعرض عليه :

هذا هو الضابط الأول ، فما هى الوحدة التى يتم بها الوزن ؟ وزن هذه الأعمال حتى أزنّها على نفسي ،

والجواب : إن الله جلت قدرته قال : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿ (١) .

إذاً فالحساب عند ربي بالذرات ، ولذلك فإذا قرأت قول الله عز وجل ﴿ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴾ (٦) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (٧) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (٨) فَأُمَّهُ هَاوِيَةٌ (٩) وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَةٌ (١٠) نَارٌ حَامِيَةٌ (١١) ﴿ (٢) ، فينبغي أن أعلم أن الموازين إذا ثقلت فقد يكون سبب الثقل ذرة وأن الموازين إذا خفت فقد تنقص ، فتحف بسبب نقص ذرة ، ولذلك فإن رب العزة سبحانه وتعالى عرفنا بكتابة الأعمال وتقييدها فيقول : ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ (١٨) ﴿ (٣) ، فكل القول يكتب ، ويقول رب العزة : ﴿ فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ ﴾ (٤) ، فتكتب ، بل وتعد

(١) سورة الزلزلة الآيات « ٧ ، ٨ » .

(٢) سورة القارعة الآيات « ٦ ، ١١ » .

(٣) سورة ق الآية « ١٨ » .

(٤) سورة الإسراء الآية « ٢٤ » .

من الكبائر فى حق العبد أن يقول لوالديه ﴿ أَفٍّ ﴾
لذلك فإذا عرفنا أن الأعمال تقيد بالذرات وأن الظالم يأخذ
كتابه يوم القيامة فيقول : ﴿ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا
يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ﴾ (١) ، ﴿ وَوَجَدُوا مَا
عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ (٤٩) (٢) ، إذا عرفنا
جرنا هذا إلى أن لا نستصغر من العمل شيئاً ، ففى
الحديث : « إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا
يلقى لها بالاً ما يظن أن تبلغ به ما بلغت فتبلغ به إلى
الجنة ، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن
وما يلقى لها بالاً ما يظن أن تبلغ به ما بلغت فتبلغ به
إلى النار » (٣)

(١) سورة الكهف الآية « ٤٨ » .

(٢) سورة الكهف الآية « ٤٩ » .

(٣) البخارى « ٦٤٧٨ » ومسلم « ٢٩٨٨ » والترمذى « ٢٣١٤ » وأحمد « ٨٩٦٧ » ومالك « ١٨٤٩ » بلفظ : « إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقى لها بالاً يرفعه الله بها درجات ، وإن العبد ليتكلم من سخط الله لا يلقى لها بالاً يهوى بها فى جهنم » وابن أبى الدنيا فى الصمت « ٧٠ » والحاكم « ١ / ٤٥ ، ٤٦ » .

ويقول ﷺ : « من أعان على سفك دم امرئ مسلم ولو بشطر كلمة بعث يوم القيامة آيس من رحمة الله » (١) .

٢ - « إن الشيطان آيس أن يعبد في أرضكم هذه ولكنه رضى بما تحقرون » (٢)

هذا هو الضابط الثانى ، يعنى أن الشيطان رضى بما تحقرون من الأعمال فلا استصغر عملاً ، ولا أحقر عملاً ، والذي يتبادر إلى الأذهان مباشرة ، إنَّ تحقرون هذه معناها : تحقرون السيئات فتقترفوها ، تقول : ما هذا ؟! وما هذه الكلمة ؟! ، لا تؤثر لا تؤثر ، وما هذه الفعلة لا تؤثر ؟! فيستصغر السيئات فيأتى بها فتتمثل له كأعواد الحطب تتجمع عليه (٣) ، فيتمثل كوماً كبيراً من الحطب يوجَّج

(١) الحديث رواه أحمد « ٣٦٨/٢ » والبزار « ٢٨٥٠ » وأبو نعيم فى الحلية « ٨٦/٧ » قال الهيثمى : ورجاله رجال الصحيح .

(٢) حديث ضعيف : رواه ابن ماجه « ٢٦٢٠ » ورمز إليه الألبانى - رحمه الله - بالضعف . انظر الضعيفة رقم « ٥٠٣ » .

(٣) كما قال الشاعر :

كل الحوادث مبناها من النظر
ومعظم النار من مستصغر الشرر

عليها نار عظيمة فكأن العبد حين يستصغر السيئات ،
يقترف السيئات ، يفعل هذه السيئة ويفعل هذه ويتلوها
بهذه فتمتلاً صفحته بالسيئات ، فيقبل وقد تمثلت سيئاته
كوماً عظيماً أججت ناراً عظيمة التهبت عليه .

لكن أريد أن ننتبه إلى أن فى قول النبى : « ولكن
الشیطان رضى بما تحقرون » معنى آخر تحقرون من
الحسنات فتركوها ، يعنى تحقرون فيها معنيين : تحقرون
السيئات فتركوها وتحقرون الحسنات تتركوها ، تقول :
ما هذه ؟! ما هذه الحسنة ؟ هذا أمر يسير ليس هذا بالأمر
الهام ، فالعبد يحقر حسنات فيتركها ، وسيئات يرتكبها
فتخف موازين الحسنات فتطيش صفحته ، فيقع فى وعيد
﴿ فَأَمَّهُ هَاوِيَةٌ (٩) وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهٗ (١٠) نَارٌ حَامِيَةٌ ﴾ (١) ،
لذلك فإن العبد ينبغى أن ينظر : الشيطان ما هدفه ؟
﴿ إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ (٢) ،

(١) سورة القارة الآية « ٧ » .

(٢) سورة فاطر الآية « ٦ » .

فإذا كان الشيطان قد رضى بما تحقرون ، إذاً لا بد أن يبلغ إلى هذا الهدف يبلغ إلى أن يكونوا من أصحاب السعير ، وذلك بأن يستصغر السيئات .

الذى جعلها سيئة هو الله فتجراً على ما حرم الله ، ويحقر الحسنات ، الذى جعلها حسنة هو الله فيحقر ما يقربه من الله فيترك مقربات ، ويقترب سيئات تباعده عن الله ، هذا الضابط يجعلنى أنظر إلى الأعمال توزن على فلا ينبغى أن أستصغر عملاً ، ولذلك فإن مقاييس الخلق فى أعمالهم على جانبين .

انظر مثلاً : إذا مررت بمسلم فقلت السلام عليك ، ماذا ترجو ؟ ترجو ثلاثين ؟ السلام عليكم ترجو بها كم ؟ عشرة ، فإن قلت : السلام عليكم ورحمة الله ، ترجو بها عشرين ، فإن زدت « وبركاته » رجوت ثلاثين ، فالناس على أحد نظريتين :

قال السلام عليكم فاستشعر أنه كسب عشرة ، وآخر

قال : السلام عليكم فاستشعر أنه أضعاف عشرين ، ذلك يجعله يغنم .

هذا مسلم وأنا أمر عليه ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، ولا أضيع من الحسنات شيء لا أحقر منها شيء ، أما الآخر فقد يستبدل تحية الإسلام من أصلها فيحيى بتحايا الجاهلية ، يحيى بالصباح والمساء وبغير ذلك مما تعارف عليه من أبواب البر إلا اغتنمه ويطلب دائماً المزيد ، فهو في السلام يتمه فإذا علم « تبسمك في وجه أخيك صدقة » ^(١) ، أدخلها في تحيته فلا يهملها راداً أو مجيباً كان بادئاً بالتحية أو راداً عليها ، ذلك يجعل العبد ناظر دائماً إلى أبواب الحسنات وإن الكثير من الناس ليسأل : النقاب فرض أم سنة ؟ التدخين مكروه أم حرام ؟ يعنى : إذا أنت تعلم أن النقاب ينحصر بين فرض وسنة وكلاهما من العمل المطلوب شرعاً الذى يؤجر فاعله .

(١) أخرجه الترمذى « ١٩٥٦ » وصححه الألبانى . انظر : الصحيحة « ٥٧٢ » .

إذا فأنت لا تسأل عن الأجر إنما تسأل عن الفارق بينهما ، فإن كان سنة تركتها لأنه لا وزر على تركه ، وإن كان واجباً فريضة لم تتركه ، لأن فيه وزر على تركه إذا فأنت تستصغر الحسنات ، وهذا هو الذى قاله النبى : « إن الشيطان آيس أن يعبد فى أرضكم هذه ولكن رضى بما تحقرون » .

ولذلك فإن السائل : فرض أم سنة إن لم يكن سؤاله بقصد التعلم فإنه يدخل تحت طائفة من يحقر الحسنات ، لذلك فإذا عرفت أيها المسلم أن هذا العمل ينحصر بين فريضة أو سنة فسارع فى فعله ، وإن علمت أنه ينحصر بين الكراهية والتحريم فالواجب عليك أن تسارع باجتنابه بالإمتناع عنه .

ولذلك أخوة الإسلام فإن المسلم إذا استشعر ذلك بحث عن أبواب الحسنات فلم يترك منها باباً يستطيعه ومن استشعر أن هذا من أبواب السيئات من المنهيات كراهة أو تحريماً لم

يرتكب أمراً يستطيع أن ينتهى عنه ، هذا يجعل المسلم دائماً يحاسب نفسه ، الرسول ﷺ يقول : « إذا اغتسل العبد يوم الجمعة غسل الجنابة - يعنى غسل يشبه غسل الجنابة - ثم راح فى الساعة الأولى فكأنما قرب بقرة ، ومن راح فى الساعة الثانية فكأنما قرب بدنة ، ومن راح فى الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشاً أقرن ، ومن راح فى الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ، ومن راح فى الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة ، فإذا صعد الإمام المنبر جلست الملائكة يستمعون » ^(١) .

إذاً فأنا عندى من الدرجات ما كتبت فى صحف الملائكة ، ومن الناس من حرم الكتابة ، من حرم من كتابة الداخل الأول فالأول فينظر صاحب البقرة أنه كسب بقرة ، أو ينظر أنه خسر الفارق بين البقرة والبدنة وهو يستطيعها ،

(١) البخارى « ٨٨١ » ومسلم « ٨٥٠ » وأبو داود « ٣٥١ » والترمذى « ٤٩٩ » وأحمد « ٩٩٣٣/٣ » ومالك « ٢٣٠ » وابن ماجه « ١٠٩٢ » .

وصاحب البيضة قد ينظر أنه كسب بيضة ، ولكنك لو ذهبت لتشتري جملاً ثم ساومت صاحبه ، فكم بيضة يُنزل لك عن ثمنه ؟ كم بيضة فى جملة هذا ؟ ، لا شك أنك ستشعر عندها أنك خسرت الكثير ، إذاً فالعبد يرى أبواب الحسنات أمامه فلا يحقر منها شىء ، وهذا ضابط هام يجعل العبد دائماً على الاستقامة فى عمله .

٣ - الإفلاس فى الآخرة مبنى على الإستيفاء ، أما إفلاس الدنيا فأقصى ما فيه قسمة الغرماء :

يعنى : نسأل سؤال هل هناك من الناس فى الدنيا من يتعامل بالأموال ثم يعلن الإفلاس وليس مفلساً ، يوجد أم لا يوجد ؟ يوجد إذاً قد يجد صاحب المال أن إعلان الإفلاس خير له من الإستمرار فى العمل ، وقد يجد جماعة الشركاء أن إعلان الإفلاس أفضل لهم لأنهم سيقسمون بقية المال بدلاً أن يضيع هذا المال كله ، لأنه إذا أفلست شركة فإن أصحاب رؤوس الأموال يقتسمون الباقي

من المال قسمة الغرماء إن وفى فيها ونعمت ، وإن لم يوف
فيأخذ كل بقدر رأس ماله .

أما مفلس الآخرة فالرسول يقول : « أتدرون من
المفلس ؟ قالوا : المفلس منا من لا درهم له ولا متاع ،
فقال : المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة
وزكاة وحج ويأتى وقد شتم هذا وضرب هذا وسفك
دم هذا وأكل مال هذا ، فيأخذ هذا من حسناته ويأخذ
هذا من حسناته ويأخذ هذا من حسناته ، فإذا فني
حسناته أخذ من سيئاتهم ثم طرح عليه ثم طرح فى
النار » (١)

الأمر مبنى على الإستيفاء ، فلا يضيع حق أحد فى
الآخرة ، إما حسنات يأخذها أو سيئات تحمل عنه عندئذ
ينظر العبد إلى عمله فيتدبر ، هل اكتسبت بهذا حسنات أم

(١) مسلم « ٢٥٨١ » والترمذى « ٢٤١٨ » وأحمد « ٨٢٠٩ » .

سأطالب يوم القيامة بإفاء حقوق العباد ؟ .

هذا يجعل العبد كما قال النبي : « رحم الله عبداً سمحاً إذا اشترى سمحاً إذا باع ، سمحاً إذا قضى ، سمحاً إذا اقتضى » ^(١) ، سمح في بيعه وشراءه ، لأنه يخاف من حقوق العباد يخاف أن يقع في حق من حقوق العباد ، لكن ترى غيره يريد أن يستوفي حقه وجانباً من حقوق العباد فهذه في الآخرة ، يأتي أصحاب تلك الحقوق يأخذوها فيتسلط على حسناته فإذا فنيت حسناته ألقوا من أوزارهم عليه ، ثم يلقي به في النار .

يتفرغ من هذا الضابط : أن من رضى الله عنه أرضى عنه الخصوم .

يعنى : هناك من الأعمال ما يحبها الله ، فمن تتبع محاب الله ، بلغ إلى درجة الحب ، كحديث أبي هريرة :

(١) البخارى « ٢٠٧٦ » . وليس فيه ذكر : « سمحاً إذا قضى » وقد أشار الحافظ ابن حجر فى الفتح : أنها وردت فى رواية حكاه « ابن التين » .

« يقول رب العزة سبحانه وتعالى : من عاد لي ولياً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه » ^(١) ، فإذا تتبع العبد محاب الله يعملها فإن الله جلت قدرته يرضى عنه من رضى الله عنه أرضى عنه الخصوم ، كما جاء في الحديث : « يقول أحدهم : يارب خذ مظلمتي من أخى فيقول له رب العزة أعطيه مظلمته : فيقول يارب لم يبق من حسناتي شيء يارب يحمل عني من أوزاري ، فيقول رب العزة : انظر ، فيقول : أرى قصوراً من ذهب ومدائن من فضة لأى نبي هذا ، لأى صديق هذا ، لأى شهيد هذا ، فيقول : أنه لمن دفع الثمن ، فيقول : ومن يملكه يارب فيقول : أنت تملكه ، فيقول : وبما يارب فيقول : بعفوك عن أخيك ، فيقول :

(١) البخارى « ٦٥٠٢ » قال ابن رجب : وهو من غرائب الصحيح فقد تفرد بإخراجه البخارى دون بقية أصحاب الكتب أ هـ .

يارب قد عفوت عنه ، فيقول : خذ بيدى أخيك فأدخله
الجنة» ^(١) ، فمن رضى الله عنه أرضى عنه الخصوم .

٤ - دِينَ الْعَبْدِ فِي أَعْضَائِهِ :

هذا هو الضابط الرابع فى وقفة الحساب ، فى حديث
أبى هريرة ، قال رسول الله ﷺ : « يصبح على كل سلامى
من الناس صدقة ، كل يوم تطلع فيه الشمس » ^(٢) ،
يصبح على كل سلامى - يعنى عظم أو مفصل - من
الناس صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس ، إذا فى كل
إشراقة شمس يكتب على من الدين بعدد أعضائى ، لكن
أعضاء الإصبع الواحد فى ثلاثة عظام وثلاثة مفاصل ، عشر

(١) الحديث ضعيف ، رواه الحاكم « ٥٧٦/٤ » .

(٢) الحديث أخرجه مسلم « ٧٢٠ » وأبو داود « ١٢٨٦ » من حديث أبى
هريرة بلفظ : « يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة ، فكل
تسبيحة صدقة وكل تحميدة صدقة وكل تهليلة صدقة ، وكل تكبيرة
صدقة ، وأمر بالمعروف صدقة ، ونهى عن المنكر صدقة ، ويجزئ من
ذلك ركعتان يركعهما من الضحى » . والحديث فيه دليل على ثواب
وأفضلية ثواب الضحى ، وانظر : رسالتنا « صلاة الضحى » من
مطبوعات دار الإيمان .

أصابع فى اليدين ومثلهم فى الرجلين فى كل إصبع هذه
السليمات ، ولا شك أن العين الواحدة أعلى عند العبد من
جملة الأصابع ، فإذا كان الأمر كذلك ، فإذا كان على
السلميات صدقات صار بالأولى على العين صدقات ،
ولعل الحديث جاء : يصبح على كل سلامى من الناس
صدقة ، ولم يذكر العين لأن الذى عليها كبير أو لعله أشار
بالأدنى لينبه على الأعلى ، ولو نظرنا إلى أن العبد فقط
عينيه لم يمت بفقدهما ، ولكن إذا فقد القلب مات ،
مات بفقدته على ذلك تصبح العين أولى من الأصابع ،
والقلب أولى من العينين ، ويصبح ذلك إشارة إلى أن العبد
فى نعم الله يتقلب ، فالواجب عليه أن يعطى من الصدقات
بعدد النعم ، وأنه كلما ازدادت نعم على العبد كلما ازداد
شكراً لربه ديناً فى عنقه كلما ازداد ، فالعبد يرى نفسه
مدين دائم الدين فإذا رأى أن الله رزقه بزوجة تريحه ، فهذه
نعمة تستحق منه الصدقات ، وبولد يبره فهذه نعمة توجب
عليه الصدقات ، وبعمل يسعده ، وبصححة يستمتع بها كل

ذلك يستوجب عليه الصدقات ، إذا فكم الصدقات التى عليه ؟ وانظر : أن الصدقة تتكرر على العبد فى كل يوم تطلع فيه الشمس ، هذا يعنى أننى أعدُّ على نفسى الأيام التى عشتها والحسنات التى أنا بها مطالب ، فكم سيصبح الدين الذين على ؟ !! .

إذا استشعر ثقل الدين وعظمته ، فإنى سأجتهد فى البحث فى سداذه ، لذلك فإن العبد إذا وجد نفسه غير مطالب بالسداد استرخى فى عمله وتبطأ فى فعل الحسنة وتكاسل فى التى بعدها وإذا وجد العبد نفسه عظيم الدين سارع إلى ربه يبحث عن أبواب الحسنات يرجوها ويفتح على نفسه أبوابها وخاف من السيئات التى تضاعف فى أعمالها ورغب فى الحسنات التى تضاعف فى ثوابها ، يعنى فى الحديث « تعدل بين اثنين صدقة » ^(١) ، طيب الذى يعدل بين اثنين له صدقة ، طيب الذى يعدل فى أمة ستين

(١) البخارى « ٢٩٨٧ » ومسلم « ١٠٠٩ » .

مليون ، له صدقات بعددها فيصبح طامع فى العدل بعددها ،
أو بكلما إزدادت الأمة التى تتأثر بعدله ، وفى المقابل فإن
الذى يظلم بين اثنين عليه الوزر بقدر ما بلغ الظلم ، والذى
يظلم فى أمة تبلغ بالملايين يقع الوزر عليه عددها .

فالأب بين أبناءه ، والمعلم فى فصله وبين تلامذته ،
والإمام فى مسجده ، والقدوة الذى يقتدى به لا بد أن
يخاف أن يؤثر عليه من العمل سيئ فيكون عليه وزره ووزر
من عمل به إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أوزارهم
شئ ، ويجب أن يكون عليه من الحسنات مثل عمله
وعمل من اقتدى بعمله إلى أن تقوم الساعة ^(١) .

(١) كما جاء فى الحديث « من سنَّ سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل
بها إلى يوم القيامة » من غير أن ينقص من أجورهم شئاً ، ومن سنَّ
سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة من غير أن
ينقص من أوزارهم شيئاً » أخرجه مسلم « ٦٩ » وأحمد
« ٣٥٩،٣٥٧/٤ » والترمذى « ٢٦٧٥ » وابن ماجه « ٢٠٣ » والحميدى
« ٨٠٥ » والدارمى « ٥١٤،٥١٢ » وعبد الرزاق « ٢١٠٢٥ » وابن
حزيمة « ٢٤٧٧ » وابن حبان « ٣٣٠٨ » والطيالسى « ٦٧٠ » والطبرانى
فى الكبير « ٢٣١٢ » .

إذاً اعبد عندما يستشعر أنه مدين يجتهد فى الأعمال
ويرى أن الأعمال والأعمار هى الرصيد ، فلا يضيع من
الأعمال ولا من الأوقات شيئاً ، نجد واحد يقول لواحد :
ربنا يطول عمرك وهو جالس معه على مقهى ، لماذا ؟ حتى
تضيعه فى الملاحى ، فيتذكر العبد أنه ما من ساعة لا يذكر
العبد فيها ربه فتعرض عليه يوم القيامة إلا كانت عليه ترة ،
حسرة وندامة ، فيتذكر العبد هذه الأبواب .

٥ - إن آفة العبد أن يرى العمل وأن علاج ذلك أن يرى فضل الله عليه فى العمل :

آفة لعبد أن يرى عمله ، فإن الرجل يصلى ركعات أو
يقرأ بضع آيات أو يتصدق بدرهمات ، ثم يظن أنه بعمله
هذا قد حلق مع الملائكة فى أفق السماء ، فهو يرى عمله
هذا قد صار كوماً عالياً من الحسنات فيجرأه ذلك على
السيئة يفترفها ، مادام عندى حسنات كثيرة ماذا تضر ؟
أروح عن نفسى بهذه السيئة ، فيتكلم الكلمة وينظر النظرة

ويخطر عليه الخطرة ويخطو برجله الخطوة ، ويبطش بيده البشطة ، كل ذلك وهو يستصغر هذا بجوار كوم الحسنات ، إذاً فالعبد إذا رأى لنفسه العمل نجراً على المعصية ، ولكن الواجب على العبد أن يرى فضل الله عليه في العمل بمعنى : إن العبد إذا جاء إلى المسجد فجلس من صلاة المغرب ينتظر صلاة العشاء فهو جليس الملائكة في بيت الله عليه ضيف ، فذلك فضل الله عليّ ^(١) ، تخضع عنقي بسببه لربي فيستحق ربي الشكر .

فأنا أرى أنى أكثر نعمة من الذى جلس فى الملاهى وابتعد عن ذكر الله فهو جليس الشيطان وأنا جليس ملائكة رب العالمين ، فنعمة الله على المستقيم أتم ، نعمة الله على المصلى أتم ، نعمة الله على المتصدق أتم ﴿ يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِلَّا مَعَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ

(١) جاء فى الحديث : « إن العبد فى صلاة ما كانت الصلاة تحبسه ومادام ينتظر الصلاة ، وما كان يعمد إلى الصلاة » ، أخرجه : البخارى (٤٧٧) ومسلم (٢٧٢ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥) .

هَذَاكُمْ لِلْإِيمَانِ ﴿١﴾ ، قرب العزة هو صاحب المنّة ،
 فإذا استشعرت منّة الله عز وجل في هذا العمل رأيت أمراً
 جليلاً خضع عنقي لربي فدخلت عليه من باب الذل
 والعبودية والإنكسار بين يديه وأنا عبده ، تفضل عليّ فحبّ
 إليّ الإيمان وزينه في قلبي وكرّه إليّ الكفر والفسوق
 والعصيان ، فله الحمد وله الشكر وله الثناء الحسن ،
 صاحب الفضل هو وأنا عبده .

٦٤ - العبد ينبغي في وقفة الحساب أن يتذكر
 الجنة والنار والنعيم والعذاب :

وهذا هو الضابط السادس ، يتذكر أن الجنة نعيمها لا
 يزهد فيه ، لا طاقة لعبد أن يزهد في نعيم الجنة ، ولا طاقة
 لعبد أن يتجرأ على النار .

يعنى : قد تجرد في أمور الدنيا عبد يقدم على الإفلاس

(١) سورة الحجرات الآية « ١٧ » .

بنفسه على الخسارة ويقول : لا بأس خسارة خسارة لماذا؟ ،
يرى أن هذه السلعة سيبيعها بسعر أقل مما اشتراها بذلك
المال يبقى يُقدم بنفسه على الخسارة ، لكن لا طاقة لعبد أن
يقدم على النار بنفسه ، « فَإِنْ آخَرَاهِلِ النَّارَ خُرُوجاً
مِنَ النَّارِ وَدُخُولاً الْجَنَّةِ ، عَبْدٌ تَعَسَّرَ عَلَى الصَّرَاطِ ، كُلَّمَا
سَقَطَ تَعَلَّقَ بِرَجْلَيْهِ وَيَدَيْهِ حَتَّى إِذَا نَجَّى مِنْهَا ، قَالَ :
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْجَانِي مِنْكَ بَعْدَمَا أَرَانِي عَذَابَكَ ، مَا أَحَدٌ
أَعْظَمَ مِنِّي مَنَّةً » ^(١) ، ينظر أنه تداركته عناية الله بمنة
عظيمة ، إذ نجى من النار بعدما رأى العذاب ، رأى النار
ورأى العذاب ، وقد يكون ذلك التعلق ، الذى تعلق به وهو
يمر على الصراط قد يكون يوماً كيوم القيامة خمسين ألف
سنة وقد يزيد ، وقد ينقص ، لكن ما أمضى فى الدنيا إلا
سنوات قلائل ، وأن عذاب النار شديد ، والنار حامية وأن

(١) الحديث بنحوه عند البخارى « ٦٥٧١ » ومسلم « ١٨٧ » والترمذى

وَأَنَّ الشَّمْسُ الَّتِي نَتَأَذَى مِنْ لَهْيِهَا فِي الدُّنْيَا تَكُونُ بَعْضُ أَحْجَارِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، تُلْقَى فِي النَّارِ وَهِيَ عَلَى هَذَا الْبَعْدِ الشَّاسِعِ لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَتَحَمَّلَ لَفَحِهَا وَنَدْخُلَ وَنَأْوِيَ إِلَى الظِّلِّ إِذَا أَصَابَنَا مِنْ حَرِّهَا ، عَلَى ذَلِكَ أَخُوهُ الْإِسْلَامُ فَإِنَّ الْعَبْدَ يَتَذَكَّرُ أَنَّ الْجَنَّةَ لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا نَفْسٌ مُؤْمِنَةٌ ، وَإِنَّ النَّارَ لَا يَخْرُجُ مِنْهَا كَافِرٌ ، وَأَنَّ الْخَلْقَ جَمِيعًا يَوْرُودُونَ النَّارَ ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴾ (٧١) ﴿ (١) ، كَلَّهُ سِيرِدُ النَّارِ ، وَلَكِنْ بَعْدَ أَنْ يَرِدَ النَّارَ يَنْقَسِمُ النَّاسُ إِلَى قَسَمَيْنِ ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ (٧٢) ﴿ (٢) ، انْظُرْ إِلَى ﴿ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا ﴾ ، هَذِهِ بِمَعْنَى قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾ (٣) ، يَبْقَى النَّاسُ عَلَى النَّارِ الَّذِي يَنْجُو

(١) سورة مريم الآية « ٧١ » .

(٢) سورة مريم الآية « ٧٢ » .

(٣) سورة آل عمران الآية « ١٨٥ » .

يحتاج إلى أسباب منجية ، والذي يسقط لا يحتاج للأسباب لأنها موجدة فعلاً ، فإنما يكون عدم وجود سبب النجاة هو نفسه سبب الهلكة وأن العبد إذا دخل في النار ، فإن الغمسة الواحدة في النار تنسي نعيم الدنيا ، وأن الصبغة الواحدة في الجنة تنسي شقاء الدنيا ^(١) ، وأن العبد إذا لم تتداركه رحمة رب العالمين فدخل النار فمكث فيها ، فكم يمكث ؟ هل يمكث يوم كيوم القيامة ؟ هل يصبر العاقل في النار خمسين ألف سنة ليستمتع في العمر ببضع سنوات ؟!! ، خمسين ألف سنة هذا إذا مكث يوماً واحداً ، فإذا مكث عشرة أيام ، مائة يوم ، صارت خمسة آلاف سنة ، يعني : خمسة ملايين

إذا العبد لا بد أن يتدبر أن ما في النار من عذاب فهو شديد ، بل وما يسبقه من الموقف يوم القيامة شديد ، بل وما يسبقه من مكث في القبر في حياة البرزخ فهو أمر

(١) الحديث بنحوه عند مسلم « ٢٨٠٧ » وأحمد « ١٢٦٩٩ » .

شديدٌ إذاً العبد عليه أن يتدبر فى وقفته فى حسابه مع نفسه : أن الجنة نعيمها مُقيم ، وأن النار عذابها أليم ، وأنه لا يستطيع أن يزهد فى الجنة ، ولا يمكن أن يتحمل عذاب النار ، لا يقول : خلاص النار النار

لا يستطيع ذلك ولا يستطيع أن يزهد فى نعيم الجنة ، فإن هذا الرجل الذى ذكرنا ، آخر رجل خرج من النار يتقلب بين الأشجار ، يسأل ربه شجرة شجرة ، حتى يصل عند باب الجنة ، فإذا سمع صوت أصحاب الجنة ، قال : ربى أدخلنى الجنة ، فيقول له رب العزة : عبدى ما أغدرك ، ألم تكن أعطيت العهود والمواثيق ، ألا تسأل غيرها ؟ فيقول : ربى لا أكن أشقى خلقتك ، إذا لم أخرج من النار ، قال : لا أحد أعظم منى منّة ، فلما سمع ورأى المنعمين فى الجنة قال : لا أكن أشقى خلقتك فنعيم الجنة عظيم وعذاب النار أليم ، فينبغى للعبد أن يتعرف على ذلك حتى يعمل .

٧ - أن يعلم العبد خطورة الإتكال ومنزلة الصدق :

فالرسول عندما يقول لمعاذ بن جبل : « أتدرى ما حق الله على العباد ، وحق العباد على الله ؟ قال : حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيء ، معاذ يقول : الله ورسوله أعلم ، فالرسول قال : حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، وحق العباد على الله ألا يعذبهم إن فعلوا ذلك ، قال : أفلا أبشّر الناس ؟ ، قال : لا تفعل فيتكلوا » ^(١) .

إذاً : العبد ينبغي أن يخاف من الإتكال لأنه الوعد مشروط ، والوعد مشروط الرسول خاف على الأمة من الإتكال ، فالإتكال هذا قد يجعل العبد يقصر في العمل فيقع به في النار ، ولذلك فإن عمر بن الخطاب في

(١) رواه البخارى « ٥٩٦٧ » ومسلم « ٤٨ » .

الحديث الذى هو فى مسلم : حديث أبى هريرة يقول :
 « كنا فى مجلس ومعنا رسول الله فى مجلس فيه أبو بكر
 وعمر فخرج رسول الله من بيننا فحفنا أن يُقطع دوننا ^(١)
 ففزعنا فكننت أول من فزع فذهبت إلى حائط فبحثت
 عن باب له فلم أجده فإذا بربيع ^(٢) يدخل إلى الحائط
 حفزت ^(٣) كما يحفز الثعلب ، فقال رسول الله : أبو
 هريرة ؟ فقالت : نعم ، قال : ما شأنك ؟ فقلت : يا رسول
 الله خرجت من بيننا فحفنا أن تقطع دوننا ففزعنا ، فكننت
 فى أول من فزع فجئتك وهؤلاء هم ورائى ، فقال رسول
 الله ﷺ يا أبا هريرة : اذهب بنعلى هاتين فمن رأيت خلف
 هذا الجدار يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله
 مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة ، قال : فخرجت فلقيت
 عمر بن الخطاب ، فقال : أين تذهب بنعلى رسول الله ؟

(١) أى يصاب بمكروه .

(٢) النهر الصغير .

(٣) ضم نفسه ليسعه المدخل .

فقلت : بعثنى رسول الله بنعليه من لقيت خلف هذا الجدار يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه بشرته بالجنة . قال : فضرب بين ثديي ضربة شديدة خمرت بها لإستي ، فقال : ارجع يا أبا هريرة ، فرجعت إلى النبي وأنا أجهش بالبكاء ، فقال : ما لك يا أبا هريرة ؟ فقلت له : ذهبت بما أمرتنى فلقينى عمر فأخبرته ، فضرب بين ثديي ضربة خمرت بها لإستي ، قال : وركبني عمر ، فسأل النبي ، فقال عمر : يا رسول الله أأرسلت أبا هريرة بنعليك من لقيه خلف هذا الجدار يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه بشره بالجنة ؟ ، قال : نعم ، قلت : يا رسول الله خلّهم يعملون ، أخشى أن يتكل الناس ، فخلّهم يعملون ، فقال النبي : فخلّهم يعلمون » ^(١) .

لا شك أن عمر بن الخطاب ما تعلم شيئاً من العلم إلا من رسول الله ، فما تعلم خطورة الإتكال إلا من رسول

(١) مسلم « ٣١ » وابن حبان « ٤٥٤٣ » وابن منده في الإيمان « ٨٨ » .

الله ، فلما رأى أبا هريرة على أمرٍ غير ما تعلمه من الرسول أنكر
وكان هول الفجأة أن ضرب أبا هريرة تلك الضربة الشديدة
التي تصد بها إزاء^{إبراهيم} ، لكنه خشى على القوم الإتكال .

وتدبر أن أبا هريرة ما خرج يبشر عامة الناس ، إنما يبشر
أصحاب المجلس الذين هم على أثره ، أبو بكر الصديق وعمر
ومن معهم .

أما معاذ فحديثه في تبشير الناس عامة ، أفلا أبشر
الناس ؟ قال : إذا يتكلموا فكأن النبي لم يخش من إتكال
القوم في حديث أبي هريرة لأنهم من أهل الجنة ، ولكن
خشى عمر أن يتكلموا فتنتقص درجاتهم ، أما حديث معاذ
فالحشية من الإتكال فيه على عواما لناس أن يقعد بهم
العمل ، فلا تـحزحون عن النار ، وذلك قول النبي : « من
بطأ به عمله يسرع به نسبه » (١) .

(١) مسلم « ٢٦٩٩ » .

خطورة الإتكال ومنزلة الصدق ، لأنه فى الحديث : أن رجلاً جاء النبى فسأل عن العبادة ، قال : ماذا علىّ؟ قال : خمس صلوات فى اليوم والليّلة ، قال : هل علىّ غيرها ؟ قال : لا إلا أن تتطوع ، ثم ذكر الأعمال كلها ، ثم قال : فقال الرجل : والله لا أزيد عليها ولا أنقص فقال النبى : أفلح إن صدق ^(١) .

الرجل قال : كلمتين : لا أزيد ولا أنقص ، أفلح إن صدق فى أيهما ؟ .

فى لا أزيد أم لا أنقص؟ فى لا أنقص . لأن « لا أزيد » هذه الزيادة لا تمنع الفلاح فى رواية : « دخل الجنة إن صدق » الرجل منا يأتى إلى الصلاة يكبر خلف الإمام فيأتيه الشيطان فيذكره ويدوم به ويطوف به فى كل أمر ، لا ينتبه إلا بالتسليم ، إلا بالإمام يسلم من الصلاة ،

(١) البخارى « ١٨٩١ » ومسلم « ١١ » .

هذا لا يسمى صدق ، ولكن قد يُسمى أدّى ، ونحن لا نفرق بين الصدق وبين الأداء ونحسبهما واحداً ، والنبى يقول : « أفلح إن صدق » فلا بد أن نعرف منزلة الصدق .

٨ - أن نعلم أن الأعمال تتفاوت فى ثقلها :

فتثقل الأعمال بأسباب ، وتخف بأسباب ، وجملة الأسباب ترجع إلى التوحيد والسنة التى تثقل بها ، وجملة الأعمال التى تخف بها ترجع إلى الشرك والبدعة .

٩ - أن أعلم أن النتيجة إما جنة أو نار :

وربى قد خلق الجنة ، وتعهد بملئها ، وأن الجنة إذا بقى فيها فضل فإن الله يخلق لهم خلقاً لم يعملوا حسنة قط فيدخلهم فيها ، وتعهد بملأ النار ، ولا يخلق للنار خلقاً جديداً .

إذاً فخوفي من النار أشد ، لماذا ؟ لأن الجنة إذا لم تكتمل بالخلق ، خلق الله لها خلقاً لكن النار تقول : هل من مزيد ، ورب العزة تعهد بملئها .

١٠ - أن أعلم أنى عبد وأن ربى على كل

شىءٍ قدير :

عباده غيرى كثير ، وأنا لا رب لي سواه فأنا عبد
محاسب ، ربي جعل عليّ الملائكة يكتبون ، وهو من فوق
ذلك رقيب والخلق يشاهدون فلا أكن أنا على نفسى رقيباً
قبل أن توزن الأعمال عليّ فهذا ابن مسعود دقيق الساقين
وساقه فى الميزان أثقل من جبل أحد ، وهذا الرجل السمين
العظيم يأتى يوم القيامة وهولاً يزن عند الله جناح بعوضة
فيلقى فى النار ولا يبالى ويدخل الجنة ولا يبالى .

معالم وقفة الحساب

المعالم تنقسم إلى : حسنات وسيئات ، والكلام على الحسنات : أبواب ومحبطات أبواب حتى أدخل ، ومحبطات حتى أجنبها ، والكلام على السيئات : أبواب ومكفرات أبواب حتى اجتنب ومكفرات إذا وقعت اغتنم .

انظر إلى الحسنات فأجد لها أبواباً عظيمة ، لكن الأبواب تنقسم قسمين :

واجبات : ومندوبات ، المندوبات قد تكتب الدرجة بمجاورتها للواجبات .

فالواجبات : فعل الفرائض والإنتهاء عن المحارم وعليها ثواب .

وتصبح المندوبات : فعل النوافل والانتهاء عن المكروهات .

إذا العبد يحصر الأبواب ، ولكن يعلم أن هذه الأبواب

فيها تضعيف فيتبع أسباب التضعيف .

صلاة الرجل فى جماعة تعدل صلاة الفذ بـخمس وعشرين درجة ^(١) ، فلا أضيع الخمسة وعشرين درجة وأجرى على الدرجة الواحدة وأقول صليت ^(٢) ، وأنا ضيعت أربعة وعشرين فكم حصلت من ذلك ؟ .

اثنين دخلوا الإمتحان ، واحد يمتحن درجة النهاية «٢٥» والثانى درجته «١» ، الذى يمتحن من «٢٥» منتظر

(١) البخارى «٦٤٧» ومسلم «٦٤٩» والترمذى «٢١٦» والنسائى «٨٣٨» وأبو داود «٥٥٩» وابن ماجه «٧٨٧» وأحمد «١٠٥٠٠» ومالك «٣٨٥» والدارمى «١٢٧٦» .

(٢) الصحيح أن صلاة الجماعة فرض عين فى حق الرجال وشرط لصحة الصلاة ، فإن تركها من غير عذر لم تصح صلاته ، وهذا مذهب داود وابن حزم ورواية فى مذهب أحمد واختارها ابن أبى موسى وابن عقيل وشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم . انظر : «المحلى ١٨٨/٤» والإنصاف «٢١٠/٢» والنكت على المحرر «٩٣/١» ومجموع الفتاوى «٢٣٢/٢٣ - ٢٣٨» والإختيارات الفقهية «٦٧» والصلاة لابن القيم «٨٤» والمغنى «١٧٨/١» ، وانظر الأحاديث فى ذلك : عند مسلم «٦٥٣» و«٢٥٧» .

يأخذ كم ؟ عشرين ، خمسة عشر ، لو كان ضعيف يأخذ عشرة ، ضعيف جداً يأخذ خمسة .

لكن الثانى يأخذ كم ؟ ٨ ر يصبح أخذ امتياز ، يأخذ نصف يصبح مقبول ، إذاً فهذا كم أضع ؟ ، وينظر العبد إلى أن التضعيف يأتى بعد التضعيف ، يعنى صلاة الرجل فى جماعة تعدل صلاة الفذ بخمس وعشرين درجة ، وهناك صلاة أصحاب الصف الأول لا يتساوون مع صلاة أصحاب الصف المؤخر ^(١) ، وهناك صلاة أصحاب الميامن من الصفوف ^(٢) ، إذاً هناك أسباب فى التضعيف وعندما أنظر أقول : صلاة الرجل فى جماعة تعدل صلاة الفذ

(١) إشارة إلى حديث أبى هريرة : « خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها » أخرجه : مسلم « ٤٤٠ » والترمذى « ٢٢٤ » والنسائى « ٨٢٠ » وأبو داود « ٦٧٨ » وابن ماجه « ١٠٠٠ » وأحمد « ٩٩١٧ » والدارمى « ١٢٦٨ » .

(٢) إشارة إلى حديث ابن عباس مرفوعاً : « عليكم بالصف الأول وعليكم بالميمنة منه وإياكم والصف بين السوارى » أخرج : الطبرانى فى الكبير « ١٢٠٠٤ » قال الهيثمى « ٢٥١٣ » : رواه الطبرانى فى الأوسط والكبير وفيه ك إسماعيل بن مسلم المكي وهو ضعيف ؛ وعن عائشة : « إن الله وملائكته يصلون على ميامن الصفوف » سنن أبى داود « ٦٧٦ » ، وابن ماجه « ١٠٠٥ » وحسنه الألبانى فى صحيح أبى داود .

بخمسة عشرين درجة ، طب كم صلاة الفذ ؟ فنجد أن الصلاة فيها قرآن والقرآن الحرف بعشر حسنات « ألا إني لا أقول ﴿ آلم ﴾ حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف » ^(١) ، القراءة بمجردها .

إذاً العمل في الفرائض ومراعاة السنة ، لكن هناك من أبواب الحسنات التي قد تنقلب على صاحبها فتصبح أبواب سيئات ما نسميه بوظيفة الوقت ، يعنى : أنت ذهبت إلى مريض تَعُودُهُ بتقول له : كل سنة وأنت طيب ؟! لكن تقول : شفاك الله ، لأن هذه الكلمة هي وظيفة الوقت ، فالعبد يقرأ القرآن في الصلاة قائماً ، فإذا سجد أيجوز أن يقرأ القرآن في السجود ^(٢) ، مع أنه أقرب ما يكون العبد إلى

(١) أخرجه الترمذى « ٢٩١٠ » وقال الألبانى - رحمه الله - صحيح « ٢٣٢٧ » .

(٢) وقد ورد النهى في القراءة في السجود من حديث عليّ : « إني نُهِيتُ أن أقرأ في الركوع والسجود ، فإذا ركعتم فعظموا الله ، وإذا سجدتم فاجتهدوا في المسألة فقم أن يستجاب لكم » رواه عبد الله من زياداته « ١٣٣٦ » وأبو يعلى مرفوعاً وموقوفاً « ٢٩٧ » وفيه : عبد الرحمن بن إسحاق بن الحارث ، وهو ضعيف عند الجميع .

ربه وهو ساجد^(١) ، وأفضل الذكر قراءة القرآن ، لكن وظيفة الوقت فى السجود : الدعاء التسبيح ، ووظيفة الوقت فى القيام القراءة ، قراءة القرآن ، فالعبد ينبغى أن يراعى وظيفة الوقت يعنى « ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه العشر الأوائل من ذى الحجة »^(٢) ، من العمل الصالح الصيام ، أصوم يوم واحد فى ذى الحجة ينفع ؟ اثنين ، ثلاثة ، أربعة عشرة ... نعم ... ينفع .

إذاً هناك أعمال لها وقت ، وظيفة الوقت فى يوم العيد يثاب العبد على ذبحه ، ومع أن الذبح من العبادات ، إلا أن وظيفة الوقت ترفع درجته ، من ذبح قبل الصلاة فإنما هو لحم قدمه لأهله ، ومن ذبح بعد الصلاة فهى أضحية متقبلة ، وظيفة الوقت ، الوظيفة أعلت الدرجة ، يثاب

(١) من حديث عبد الله بن مسعود ، رواه الطبرانى فى الكبير « ١٠٠١٤ »
 والبزار « ٥٤٠ » وفيه : مروان بن سالم وهو ضعيف منكر الحديث .
 (٢) أخرجه البخارى بمعناه « ٩٦٩ » والترمذى « ٧٥٧ » واللفظ له .

العبد على الصيام قبل عيد الأضحى وعلى الطعام ،
والإطعام بعده « أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر الله
تعالى » ^(١) ، إذا فالعبد ينبغي أن ينظر ويتدبر وظيفة
الوقت ، والشيطان يدخل على العبد من وظيفة الوقت
ليلهيه عنها ، فيأتي الشيطان للعبد في صلاته ، يقول له :
بر الوالدين أنت بعيد عنه ، صلة الأرحام أنت مقصر فيها ،
الإحسان إلى الجيران يخشى أن تؤتى من هذا الباب .

ما وصل رحماً ولا أحسن إلى جار ولا بر والديه ،
ولكن التهي عن صلاته ، أضاع وظيفة الوقت .

إذاً في هذا الباب ، باب الحسنات ينبغي أن يراعى
العبد أبواب الحسنات والتضعيف فيها ، وظيفة الوقت ،
ويعلم أن أقرب أو أن أحب ما يؤديه إلى الله هو الفرائض ،
ثم يجتهد بعد ذلك من النوافل ما استطاع .

(١) مسلم « ١١٤١ » .

قد يسأل سائل : هل يعاقب العبد على ترك الرواتب من الصلاة ؟ ولو أجبنا بنعم لكانت الإجابة خطأ ، ولو أجبنا بلا لكانت الإجابة خطأ ، لأن العبد تعرض صلاته على الله ، فإن وجدت كاملة نظر في باقى عمله ، وإن وجدت ناقصة قيل : انظروا هل له من نافلة ^(١) ، يعنى : معنى هذا إذا وجدت نافلته لم تكمل فريضته ، عوقب على نقص الفريضة وعدم جبر النافلة ، أنا أصلى العشاء أربع ركعات ، ثم أتى بعدها بنافلة ركعتين ، والفريضة الأربع ركعات هذه قد يكون النقص فيها ركعتين أو يزيد ، والنافلة الركعتين فيها نقص أيضاً ركعة واحدة أو يزيد ، إذاً ما تجبر العدد ، لكن السبب أن العبد لما دخل على ربه من باب

(١) جاء فى الحديث « إن أول ما يحاسب عليه العبد من عمله يوم القيامة الصلاة ، فإن أكملها وإلا قيل : انظروا هل له من تطوع ، فإن كان له تطوع أكملت به الفريضة ، ثم يصنع بسائر أعماله كذلك » أخرجه النسائى « ١٤٢٥ » وصححه الألبانى - رحمه الله - فى صحيح الجامع « ٢٠١٦ » .

العبودية مُنكسر العنق لربه ، يقول : ربى أنا قد قصرت فى صلاتى وأنت تجبر العجز فتقبل منى ، أنا عبدك .

يدخل على ربه من باب الخضوع والعبودية ، لكن يقول : خلاص أدينا الفريضة ، هى دي الفريضة ، هذا غرور لأنه يلحق نفسه بمن قال له : أفلح إن صدق ، يظن أنه صدق وهو ما صدق .

المحبطات للحسنات

الشرك ^(١) ، والرياء ^(٢) ، والبدعة ^(٣) ، ولكن هناك محبطات تحبط الأثر ، مثلاً : العبد إذا صام ولم يدع قول الزور والعمل به فلا حاجة لله أن يدع طعامه وشرابه ^(٤) ،

(١) لقوله تعالى : ﴿ لَنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبُطَنَّ عَمَلُكَ ﴾ [الزمر - ٦٥] .
(٢) لحديث أبي هريرة : « قال الله تبارك وتعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه » رواه مسلم « ٢٩٨٥ » وابن ماجه « ٢٤٠٢ » وأحمد « ٧٩٣٩ » .
(٣) لحديث ابن عباس : « أبى الله أن يقبل عمل صاحب بدعة حتى يدع بدعته » رواه ابن ماجه « ٥٠ » وفيه بشر وأبو زيد وأبو المغيرة مجهولون . فلا بد من موافقة السنة في العمل وعدم الابتداع ، ففي حديث عائشة « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو مردود » أى : مردود على صاحبه فلا يقبل .

والحديث رواه مسلم « ١٧١٨ » والبخارى فى خلق أفعال العباد رقم « ٢١٤ » وأبو عوانه « ١٩ ، ١٨ / ٤ » وأحمد « ٧٣ / ٦ » من طريق عبد الله ابن جعفر به نحوه ، ورواه الطيالسى « ١٤٢٢ » من طريق إبراهيم بن سعد عن أبيه عن القاسم به .

(٤) لحديث أبى هريرة عند البخارى « ١٩٠٣ » والترمذى « ٧٠٧ » وأبو داود « ٢٣٦٢ » وابن ماجه « ١٦٨٩ » وأحمد « ١٠١٨٤ » .

إذاً هذه تحبط الأعمال .

من المحبطات : أكل الحرام ، الرجل يطيل السفر
أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يارب يارب ومطعمه حرام
ومشربه حرام وغذى بالحرام فأني يستجاب له (٥) .

من محبطات أثر العمل :

الوقوع في حقوق العباد ، لأن آثار الأعمال هو سيأخذ
من الحسنات يبقى عمل وحصل حسنات ، وفي النهاية
يبلغ إلى الإفلاس .

القسم الثاني : وهو السيئات :

أبواب السيئات فعل المحرمات أو ترك الواجبات
والمحرمات أقسام ثلاثة : الشرك والبدعة والمعصية .

*** الشرك :**

يدخل الشيطان به على الناس ويوهمهم أنهم ليسوا

(١) الحديث عند مسلم « ١٠١٥ » .

مشركين ؛ انظر مثلاً : إلى المساجد التي تبنى على القبور ،
الرسول نهى النهى الصريح على ذلك ^(١) لكنك تجد من
أصحاب المناصب الشرعية من إذا كلمته فى ذلك يقول :
لا ، لا هذا ليس حراماً ، الصلاة فيها صحيحة ، ولو كلمته
عن الطواف حول القبور ، يقول : لا .

أمر على الديار ديار ليلى أقبل ذا الجدار وذا الجدار
وماحبُّ الديار شغفنا قلبى ولكنَّ حبُّ من سكن الديار
الذى يسمعه يقول له : صدق الله العظيم !! .

إذاً الشرك يختفى على الناس ، ولا بد أن نعلم أن
التوحيد له أثره ، والشرك كذلك ، وأن التوحيد لا ينبغى أن
يقف عند حد اللسان ، يعنى عندما تقول : الرزاق هو الله ،
توحيد هذا أم لا ؟ .

(١) لقوله ﷺ : « إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ، ألا
فلا تتخذوا القبور مساجد فإنى أنهاكم عن ذلك » . رواه مسلم « ٢٣ » .
كتاب المساجد باب : النهى عن بناء المساجد على القبور .

رأيت الرجل المرتشى أو اللص يسرق أو يرتشى ، وسألته
من الرزاق ؟ يجاوب ويقول : الله .

هذا العلم ، علم لسان أم يقين قلب ؟ علم لسان لم
يدخل إلى قلبه لم يعمل به فى قلبه ، لم يستقر ذلك فى
قلبه ، إذاً يتسرب إليه الشرك ، ونحن لا نخاف من الشرك
نقول : نحن والحمد لله مؤمنون وموحدون بالله .

نكون معلقين الأحجة وموحدين بالله !! نحلف بالنبى
وبغير الله وموحدين بالله ، ونقول : بالذمة والشرف
وموحدين بالله ، وبنغش فى التجارة ونكذب طلباً للرزق
وموحدين بالله !! .

إذاً نحن لا نعرف التوحيد ، ولذلك التوحيد مع أنه من
أجل المعانى فهو من أكثر الأعمال وقوعاً فى مخالفاته .

تجد من يذهب يرى مصروعاً ويدخل البيت يرقيه ، يقول
: أنتم معلقين الصور ليه ؟ ، أنزلوها هى التى تجيب العفاريت
، التليفزيون هو الذى يجيب العفاريت ، جعلهم يذكرون الله

ويغلقوا التلفزيون وينزلوا الصور، خوفاً من من ؟! .
والخوف عبادة ينبغي للعبد أن يفرد بها الله رب
العالمين ^(١) ، خوف السر عبادة ، فهو نقلهم إلى الخوف
من الشياطين من الجن ، وذلك من أكبر السيئات ، من
أكبر الأوزار ، لذلك يدخل الشرك على الناس من هذه
الأبواب .

* البدعة :

أيضاً التي تدخل على العمل كما في حديث عائشة :
« كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد » مردود على صاحبه .

* والمعاصي :

تتراوح في دراجاتها ، منها الكبائر ومنها الصغائر ، فينبغي
للعبد أن يخاف من تلك المعاصي جميعاً .

(١) لقوله تعالى : ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾ آل عمران
الآية ٧٥ .

المكفرات

لا بد أن أعرف المكفرات ، فيه مكفرات عامة ، الإسلام
يَجِبُ ما قبله ^(١) ، التوبة ^(٢) ، الهجرة تَجِبُ ما قبلها ^(٣) ،
الحج يَجِبُ ما قبله ^(٤) ، هذه مكفرات عامة « من صام
رمضان إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه » ^(٥) ،

(١) لقوله ﷺ : « الإسلام يجبُ ما كان قبله » وفي رواية « يهدم ما كان قبله » الحديث عند مسلم : كتاب الإيمان برقم ١٩٢ وأحمد « ١٩٩/٤ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ » .

(٢) لقوله ﷺ : « التائب من الذنب كمن لا ذنب له » رواه ابن ماجه « ٤٢٥٠ » والطبراني في الكبير « ١٠ / ١٨٥ » وأبو نعيم في الحلية « ٢١٠/٤ » والحديث حسن - إن شاء الله .

(٣) الحديث في مسلم « ١٢١ » .

(٤) لحديث أبي هريرة : « من حجَّ لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه » ، الحديث رواه البخاري « ١٥٢١ » ومسلم « ١٣٥٠ » والترمذي « ٨١١ » والنسائي « ٢٦٢٧ » وابن ماجه « ٢٨٨٩ » .

(٥) الحديث رواه البخاري « ٢٠١٤ » ومسلم : كتاب صلاة المسافرين « ١٧٥ » .

« من قام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه » ^(١) ، وهناك مكفّرات تأتي على بعض الأعمال ، صوم يوم عرفة يكفّر السنة الماضية والسنة الباقية ^(٢) ، وصوم يوم عاشوراء يكفر السنة الماضية ^(٣) .

هذه أعمال مكفّرة ، أجتهد في هذه الأعمال المكفّرة ، « إذا توضأ الرجل في بيته وضوءه للصلاة ثم خرج لا يخرج به إلا الصلاة فإن خطوة يُكتب له بها حسنة وخطوة يُحطّ عنه بها خطيئة » ^(٤) ، مكفّرات « ألا أدلكم على ما يحمو الله به الخطايا ويرفع الدرجات ، إسباغ الوضوء على الكريهات وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فذلكم

(١) نفس التخريج السابق .

(٢) رواه الترمذى « ٧٤٩ » قال الألبانى : صحيح « ٥٩٧ » وابن ماجه « ١٧٣٠ » وأحمد « ٢٢٠٢٤ » .

(٣) رواه الترمذى « ٧٥٢ » قال الألبانى : صحيح « ٦٠٠ » وأخرجه أحمد « ٢٢١٤٤ » .

(٤) رواه البخارى « ٦٤٧ » .

الرباط ، فذاكم الرباط ^(١) .

إذاً أتعرف على مكفّرات الذنوب ، وأعلم أن من أهم مكفّرات الذنوب : أن العبد إذا استهوته أو إذا استهواه الذنب فوقع فيه فلا يؤجل التوبة لحديث : « علم عبدى أن له رباً يأخذ بالذنوب ويغفر ، عبدى قد غفرت لك - ثم تكررت - وقال فى آخرها : عبدى افعَل ما شئت فقد غفرت لك » ^(٢) ، ما دام هذا حالك ، أنك إذا غلبتك المعصية فأغلبتك ف وقعت فيها لم تؤجل التوبة فأسرعت ، فأنت مغفور لك .

أظن الموضوع الذى تكلمت فيه كله معروف ، ولكن أن نضع أمام أنفسنا نقاط نحاسب أنفسنا عليها ، لأننا سنعيش وقت قصير ، ثم نفدُ به على رب العالمين ، بعد

(١) رواه مسلم « ٢٥١ » والترمذى « ٥١ » والنسائى « ١٤٣ » وأحمد « ٩٣٦١ » ومالك « ٣٨٦ » .

(٢) أحمد « ١٧٦/٤ » والدولابى فى الكنى والأسماء « ٤٨/٢ » وصححه الألبانى فى صحيح الجامع « ١٧٨٠ » والصحيحة « ٤٧ » .

ذلك فإذا وفدنا على الله ، ففي الحديث القدسي : « إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ، فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه » ^(١) ، العبد عندما يستهين بالسيئات فيقع فيها يجد نفسه يوم القيامة يزج به في النار ولا يتكل العبد على شفاعته ، لأن رب العزة قال : ﴿ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا ﴾ ^(٢) ، وقال : ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى ﴾ ^(٣) ، فما يدريني أنني أدخل فيها ، ولذلك فإن رجلاً من أصحاب النبي مرض فدخل عليه بعض إخوانه يعودونه ، فقال : سمعت الرسول يقول : « إن الله قبض قبضة فقال هؤلاء في الجنة ولا أبالي ، وقبض قبضة بيده الأخرى وقال : هذه في النار ولا أبالي ، ولست أدري في أي القبضتين أنا » ^(٤) ، إذا انتبه ،

(١) مسلم « ٢٥٧٧ » .

(٢) سورة الزمر الآية « ٤٤ » .

(٣) سورة الأنبياء الآية « ٢٨ » .

(٤) حديث صحيح : فيه الحكم بن سنان ضعيف ، لكن للحديث شواهد ،

رواه أبو يعلى « ٣٤٢٢ » .

أحاسب نفسي لا أتركها ولا أركن إلى حسنات عملتها ،
لأنه يبعث كل عبد على ما مات عليه ^(١) ، فقد أميل
إلى المعصية فأقبض عليها ولا أسوف التوبة ، لأننى قد أنوب
فأقبض عليها والعبد إذا كان آخر أعماله قول لا إله إلا الله
أو التوبة ، إليه فإنه يرجى أن يكون من أهل الجنة ^(٢) .

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يجمعنا وإياكم
على الخير وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون
أحسنه ، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى
آله وصحبه .

(١) حديث صحيح : رواه أحمد « ٣١٤/٣ » .

(٢) من حديث معاذ بن جبل : من كان آخر كلامه لا إله إلا الله وجبت له
الجنة » ، أخرجه أبو داود « ٣١١٦ » وأحمد « ٢٣٣/٥ ، ٢٤٧ »
والبيهقى فى الأسماء والصفات « ١٧٦ » والشعب « ٩٤ » والحاكم
« ٣٥١/١ » والطبرانى فى الكبير « ٢٢١ » وفى الدعاء « ١٤٧١ »
والخطيب فى التاريخ « ٣٣٥/١٠ » وابن منده فى التوحيد « ١٨٧ » وله
شاهد من حديث أبى ذر عند مسلم « ٩٥/١ » قال : أتيت النبى وهو
نائم عليه ثوب أبيض ، ثم أتيتة فإذا هو نائم ، ثم أتيتة وقد استيقظ
فجلست إليه ، فقال : « ما من عبد قال : لا إله إلا الله ، ثم مات على
ذلك إلا دخل الجنة » . الحديث .